

بناء التراث من ذوي الاحتياجات الخاصة

الإمام الحافظ الحجة المقرئ التابعي أبو داود
عبد الرحمن بن هرمز المتمتع بإحدى رجليهأ.د. إبراهيم الفهد^(*)

المولد والنشأة والمكان:

اسمه: أبو داود عبد الرحمن بن هرمز المدني الأعرج مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وقيل: بل ولاؤه لبني مخزوم، ولد -رضي الله عنه- بالمدينة المنورة عام ٣٧ هـ وعاصر الصحابة - رضوان الله عليهم - وتعلم على أيديهم، وسمع العلم منهم، وهو من الطبقة الثانية من التابعين، وقد عنون لترجمته الحافظ الذهبي بالألقاب التي ذكرتها في العنوان، وقد كان يعاني -رضي الله عنه- من العرج، وصار العرج لقباً له اشتهر به حتى ذكر ابن كثير فيمن توفوا في السنة الـ ١١٧ هـ أنه قد توفي فيها الأعرج.

ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أنه سمع أبا هريرة، وأبا سعيد الخدري، وعبد الله بن مالك بن بحينة، وطائفة، وجود القرآن وأقرأه، وكان يكتب المصاحف، وسمع من أبي سلمة بن عبد الرحمن وعمير مولى ابن عباس وعدة. كما أخذ القراءة عرضاً على أعيان الصحابة من مثل أبي هريرة وابن عباس، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، قال الذهبي: قال إبراهيم بن سعد: كان الأعرج يكتب المصاحف، ولقد عاش في القرون المفضلة الأولى فلقد أدرك

طلبه العلم: كان لمولده -رضي الله عنه- بالمدينة أثر بالغ في تلقيه العلم وتربيته عليه فلقد عاصر المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وكلهم عدول - رضي الله عنهم - قال تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

(التوبة: ١٠٠)

(*) رئيس جامعة الأزهر - سابقاً.

القرآن؟ قلت: لا. قال: اذهب فاحفظ القرآن ثم هلم أحدثك، قال: فذهبت فحفظت القرآن ثم جئته فاستقرأني فقرأته فحدثني.

ج- سمع الحديث عن كبار الصحابة وروى عنهم وروى عنه كثير من الرواة، وممن سمع منهم بالإضافة إلى من سبق ذكرهم أسيد بن رافع بن خديج، وأشعث بن إسحق بن سعد بن أبي وقاص، وحמיד بن عبد الرحمن بن عوف، والسائب بن يزيد وسليمان بن عريب، وسليمان بن يسار، وعبد الله بن كعب بن مالك، وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وعبد الملك بن المغيرة بن نوفل، وعبيد الله بن أبي رافع، وعلي بن زين العابدين، وكثير بن العباس ومحمد بن أسامة بن زيد ومحمد الباقر، ومحمد بن مسلمة ومروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر، وناعم مولى أم سلمة، وأبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود، وضباعة بنت الزبير، وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة، وقال عنه: كان ثقة كثير الحديث، وقد وثقه علي بن المديني والعجلي وأبوزرعة الرازي وابن خراش، كما روى الجماعة.

تلاميذه: حدث عنه الزهري، وأبو الزناد وصالح بن كيسان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبد الله بن لهيعة، وآخرون، وتلا عليه: نافع بن أبي نعيم، وروى عنه كثيرون منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأسيد بن يزيد المديني، وأيوب السخيتاني وجعفر بن ربيعة والحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، والحسن بن علي الهاشمي النوفلي والحكم بن مسلم السالمي وداود بن الحصن وربيعه الرأي وزيد

الناس - كما ينقل عنه الذهبي - وكان يقرأ سورة البقرة في ثماني ركعات، فإذا قام بها في ثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف.

علمه التي برع فيها:

أ- علمه بالعربية: كان يعلم قدر العربية في فهم القرآن والسنة فلقد روي عن حماد بن سلمة أنه قال: من طلب الحديث ولم يتعلم النحو، أو قال العربية فهو كمثل المخلاة تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير، وعن الأصمعي قال: ثلاثة يهابون وإن لم يعرفوا: الرجل يقبل على دابته، والرجل يشتم منه رائحة طيبة، والرجل يُعرب في كلامه، وثلاثة يزدرون وإن لم يعرفوا: الرجل يلحن في كلامه والرجل يشتم منه رائحة النبيذ، والرجل الموسخ الثياب ذكره اليماني في إشارة التعمين في تراجم النحاة واللغويين، وقد روى الذهبي أن عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية، وقيل إنه قد أخذ العربية عن أبي الأسود الديلي، وقد ذكروا أن أبا الأسود كان يقول: إني لأجد للحن غمرا كغمير اللحم، أي: رائحة منتنة كاللحم المتغير الرائحة، وقد ذكر السيوطي في بغية الوعاة فيما نقله عن الزبيدي في طبقات اللغويين والنحويين أن عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع أبوابا وأصل أصولا للنحو واللغة وعلى ضوءها سار من جاء بعده.

وكان ابن هرمز أعلم الناس بأنسب قريش، كما ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء.

ب- القراءات القرآنية: تلقى القراءات عرضاً على أعيان الصحابة الذين سبق ذكرهم، وقد ذكر أهل العلم أن حفظ القرآن ضرورة قبل الاشتغال بالحديث فعن حفص بن غياث قال: أتيت الأعمش فقلت: حدثني، قال: أتخفظ

بن هرمز أيضا الذي توفي عام ١٤٨ هـ وقد أخرج الفسوي في المعرفة في ترجمة عبد الله بن يزيد عن أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري، قال سمعت مروان عن مالك قال: جلست إلى ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، قال: وكنت في الشتاء قد اتخذت سراويل محشوا، كنا نجلس معه في الصحن في الشتاء، قال: فاستحلفني أن لا أذكر اسمه في الحديث. كَانَ يَتَعَبَدُ وَيَتَزَهَّدُ، وجالسه مالك كثيرا، وأخذ عنه، وقد قال عنه مالك أيضا: كنت أحب أن أقتدي به، وكان قليل الفتيا، شديد التحفظ، كثيرا ما يفتي الرجل، ثم يبعث من يردده، ثم يخبره بغير ما أفتاه، وكان بصيرا بالكلام، يرد على أهل الأهواء، وكان من أعلم الناس بذلك، وقد قال بكر بن مضر: قال ابن هرمز: ما تعلمت العلم إلا لنفسي، وعن ابن هرمز، قال: إني لأحب للرجل أن لا يحوط رأي نفسه، كما يحوط السنة، وقال مالك: لم يكن أحد بالمدينة - له شرف - إلا إذا حزبه أمر رجع إلى ابن هرمز.

وقد ورد في جامع البيان وفضله لابن عبد البر عن سحنون، قال: كان مالك بن أنس، وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومحمد بن إبراهيم بن دينار، وغيرهم يختلفون إلى ابن هرمز، وكان إذا سأله مالك، وعبد العزيز أجابهما، وإذا سأله ابن دينار، وذووه لم يجبهما، فتعرض له ابن دينار يوما، فقال له: يا أبا بكر لم تستحل مني ما لا يحل لك؟ قال له: يا ابن أخي! وما ذاك؟ قال: يسألك مالك وعبد العزيز فتجيبهما، وأسألك أنا وذوي فلا تجيبنا؟ فقال: «أوقع ذلك يا ابن أخي في قلبك؟» قال: نعم، قال: «إني قد كبر سني ورق عظمي، وأنا أخاف أن يكون خالطني

بن أسلم وسعد بن إبراهيم الزهري، وأبوشجاع سعيد بن يزيد القتباني المصري، وسليمان بن مهران الأعمش، وصفوان بن سليم، وعبد الله بن الحسن المثني، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند، وعبد الله بن الفضل الهاشمي، وعبد ربه بن سعيد الأنصاري، وعبد الرحمن البيلماني، وعبيد بن أبي جعفر، وعثمان بن حكيم الأنصاري، وعثمان بن محمد الأحنسي، وعكرمة بن عبد الرحمن المخزومي، وعلقمة بن أبي علقمة، وعمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وعمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، والفضل بن الفضل المدني، ومحرز بن هارون التيمي، وابن إسحق ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، ومحمد بن عجلان، ومحمد بن عمرو بن علقمة، وأبو الزبير المكي، ومحمد بن يحيى بن حبان، وموسى بن عقبة، وهارون بن هارون التيمي، ويحيى بن أبي كثير، ويعقوب بن أبي سلمة الماجشون.

ابن هرمز والإمام مالك إمام دار الهجرة:

تجمع كتب التاريخ على أن ابن هرمز لم يغادر المدينة طول حياته إلا مرة واحدة إلى الشام، وأنه رحل إلى الإسكندرية في آخر حياته وبعد العام العاشر من القرن الهجري الثاني، وهذا يعني أن الإمام عاصره سبع عشرة سنة، وقد روي عن الإمام مالك أنه قال: جلست إلى ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، فأخذ عليّ ألا أروي عنه شيئا.

وتذكر كتب التاريخ أن ابن هرمز الأستاذ الأول للإمام مالك، وتذكر كتب أخرى أن المدينة كان بها التابعي الجليل عبد الله بن يزيد

إليها من المدينة مرابطاً حتى مات بها ، سافر في آخر عمره إلى مصر وأقام بها من ٥-٧ سنوات ، قضاه في التدريس ورواية الحديث ، وكان بها آنذاك عدد كبير من علماء المسلمين وكبار التابعين ، وهم الذين نشروا علوم القرآن والفقه والحديث في مدينة الإسكندرية ، وتوفي مرابطاً بالإسكندرية سنة ١١٧هـ - كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية وجماعة من أهل العلم .

وفي الإسكندرية مسجد عبد الرحمن بن هرمز وهو مسجد في شارع رأس التين بمنطقة رأس التين التابعة لحي الجمرك ، وهو من المساجد المعلقة يصعد إليه ببضع درجات يذكر المؤرخون أن الذي بناه تطوعاً الشيخ درويش أبو سن من أثرياء الإسكندرية ، وقد أوصى أن يدفن بجوار التابعي الجليل عبد الرحمن بن هرمز وقد كان ذلك ، وضريح التابعي الجليل في الركن الجنوبي من يسار المحراب في حجرة بها الضريح تعلوه مقصورة خشبية .

في عقلي مثل الذي خالطني في بدني ، ومالك وعبد العزيز عالمان فقيهان إذا سمعا مني حقا قبلاه وإذا سمعا مني خطأ تركاه ، وأنت وذووك ما أحببكم به قبلتموه» ، قال محمد بن حارث : «هذا والله هو الدين الكامل والعقل الراجح لا كمن يأتي بالهذيان ، ويريد أن ينزل من القلوب منزلة القرآن» .

ولا يمنع مانع من أن يكون الإمام مالك تتلمذ على الاثنين فهما تابعيان جليان وعالمان بالفقه والحديث ، ومعروفان بالورع عند علماء الرجال .

وفاته وموضع قبره: أمضى ابن هرمز عمره كله بالمدينة المنورة ولم يغادرها قبل رحيله إلى الإسكندرية إلا مرة واحدة زار فيها يزيد بن عبد الملك بالشام في الفترة من (١٠١ - ١٠٥هـ) وقد خرج ابن هرمز مرابطاً إلى الإسكندرية في حوالي عام ١١٠هـ أو ما بعدها على أرجح الأقوال ، ويذكر البلاذري في فتوح البلدان أن ابن هرمز الأعرج القارئ كان يقول خير سواحلكم رباطاً الإسكندرية ، فخرج

